القسم الثانى

صِيَغٌ وَتعبيراتٌ صحيحة

١ - وقوع الشرط ماضيا بعد مهما

مهما: اسم شرط جازم يليه فعلا شرط وجزاء، ومعروف أن الفعلين من باب الشرط أو باب الجوازم قد يكونان مضارعين مثل: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ أو ماضيين مثل: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أو ماضيًا فمضارعًا مثل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أو مضارعًا فماضيًا مثل الحديث النبوى: «من يَقُم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له».

وهذا الحكم العام لفعلى الشرط والجزاء يقتضى أن يجرى على «مهما» كما يجرى على أخواتها، غير أن جماعة توقفت فى طَرْد هذا الحكم على الفعلين التاليين لمهما، بحجة أن فعل الشرط دائمًا معها مضارع كقوله تعالى: ﴿مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقول زُهَيْر:

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تَخْفى على الناس تُعْلَمِ

والنحاة يقرنونها «بما» ويقول بعضهم: إنها ما مكررة،ووصلها بما يجعلها أدنى إلى أن تأخذ حكمها فى باب الشرط، وخاصة أنها مثلها قد تكون غير زمانية كما فى الآية وبيت زهير ويقابلها مثل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ وقد تكون زمانية كما فى قول حاتم:

وإنَّك مهما تُعْطِ بَطْنَك سُؤْلَهُ ونفسَك نالا منتهى الذَّمِّ أجمعا

ويقابلها حينئذ مع ما مثل: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

ومعنى ذلك أنه ينبغى فى رأينا أن تأخذ مهما الشرطية حكم ما الشرطية، فيليها تارة فعل شرط مضارع وتارة فعل شرط ماض، فكما يجوز مهما يكن، يجوز: مهما كان. وجزاؤها فى بيت حاتم ماض، مما يرشح فعلها الشرطى ليكون ماضيًا مثله. ويقطع بذلك أنه جاء فعلا ماضيًا على لسان شاعر هذلى قديم هو المتنخل فى قوله يرثى أباه:

إذا سُدْتَه سُدْت مِطْواعةً ومهما وكلتَ إليه كَفاهُ

وكذلك فى بيت آخر للأسود بن يَعْفر هو قوله:

ألا هل لهذا الدهر من مُتَعلَّلِ عن الناس مهما شاء بالناس يفعلُ

وواضح أن فعلى الشرط بعد مهما فى البيتين ماضيان، مما يدل بوضوح على أن مهما مثل

أخواتها من أسماء الشرط الجازمة قد يليها مضارعان أو ماضيان أو متخالفان كبيتى حاتم والأسود.

ونخلص من ذلك إلى أن ما يجرى على ألسنة الأدباء فى عصرنا من قولهم «مهما كان» صحيح لغويًا صحة «مهما يكن».

المراجع

انظر فى مهما: ابن يعيش على المفصل - الرضى على الكافية - المغنى لابن هشام - الأشمونى على الألفية.

٢ - جواز مجيء «بينما» فى غير الصدارة

يشيع فى الكتابات العصرية توسط «بينما» بين جملتيها المرتبطتين بها مثل: «كان على يتكلم بينما دخل خالد».

ويقول اللغويون والنحاة عنها وعن أختها «بينا»: إنهما من حروف الابتداء، أى أنهما يذكران فى صدر جملتيهما لا متوسطتين بينهما، وتذكر معاجم اللغة وكتب النحو أمثلة مختلفة لهما تتصدران فيها جملتيهما كقول بعض الشعراء:

استغفِر الله خيرًا وارضَينَّ بهِ فبينما العسرُ إذ دارتْ مياسيرُ

وقول شاعر آخر:

بينما المرءُ آمنٌ راعه را ئعُ حَتْفٍ لم يخْشَ منه انبعاثه

وقول بعض الصحابة فى حديث نبوى: «بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل»، فهل نعد صدارة «بينما وبينا» لجملتيهما قاعدة مطّردة بشهادة هذه الأمثلة ونحوها، أو نجيز أن تتوسط كل منهما جملتيها على نحو ما ينتشر فى الكتابات العصرية؟ فى رأيى أن المسألة تحتاج إلى فضل من النظر للأسباب الآتية:

أولا: أن «بينما وبينا» تتفرعان عن «بين» بزيادةِ ما، أو الألف. ومعروف أن «بين» قد تأتى ظرف مكان وقد تأتى ظرف زمان، أما «بينما وبينا» فتلزمان الظرفية الزمانية، وهما بذلك فرعان لبين المستخدمة فى الزمان، ودائمًا «بين» تتخلّل جملتها وتتوسطها وتدخل فى أثنائها مثل: «سافر محمد بين الظهر والعصر» أفلا يكون من حق «بينما وبينا» أن يقاسا عليها، وأن يتوسطا جملتيهما وخاصة أنهما لا يزالان ظرفى زمان ويحملان معنى البينيّة والتخلل مثل «بين» الزمانية تمامًا، وغاية ما بينهما وبينها من خلاف أنها للتخلل والتوسط بين المفردات، وهما للتخلل والتوسط بين الجمل.

ثانيًا: ذهب بعض النحاة إلى أن «بينما وبينا» شرطيتان، وقال آخرون: إنهما أشربتا معنى الشرط؛ ولذلك ينبغى أن تتصدرا جملتيهما، ويلاحظ أن معنى الشرط فيهما ضعيف؛ لأن الجملة الثانية معهما لا تترتب على الأولى ترتب جواب الشرط على فعله، وهما - بحسب استخدامهما اللغوى - تدلان على الاقتران، وليستا شرطيتين ولا مشربتين معنى الشرط.

ثالثًا: على فرض أن «بينما وبينا» شرطيتان أو أشربتا معنى الشرط، لا يمنع ذلك من توسطها لجملتيها؛ لأن أداة الشرط التي يقاسان عليها فى الصدارة تتوسط جملتيها فى الاستعمال اللغوى كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ويجيز ذلك الكوفيون والأخفش الأوسط مطلقًا، ويذهب البصريون فى مثل الآية الكريمة إلى أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله. ومعنى ذلك أن الصبغة العصرية مثل: «كان على يتكلم بينما دخل خالد» إمَّا أن تحمل على رأى الكوفيين القائل بأن أداة الشرط يجوز أن تتوسط جملتيها ويسبقها الجواب، وإمَّا أن تحمل على رأى البصريين القائل بأن جواب الشرط يحذف إذا دل عليه ما قبله، وهى بذلك فى الصيغة السابقة وما يماثلها تُعد فى ابتداء جملتها، وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه.

ولعل فى كل ما تقدم ما يدلُّ بوضوح على أن ما يشيع فى الكتابات العصرية من توسط «بينما وبينا» لجملتيهما سائغٌ لغويًّا ولا خطأ فيه.

٣ - كلمات معطوفة بدون حرف عطف

يكثر فى لغة الصحف العصرية حذف حرف العطف بين كلمتين فى مثل:

محادثات سعد زغلول - ماكدونالد.

مصر - ألمانيا أربع رحلات أسبوعيًّا بدون توقف فى الطيران.

قطار مصر - أسوان.

ومألوف الاستعمال فى العربية ينكر مثل هذه العبارات لحذف حرف العطف فيها إذ المألوف أن يقال:

مفاوضات سعد زغلول وماكدونالد.

مصر وألمانيا أربع رحلات أسبوعيًّا بدون توقف.

قطار مصر وأسوان.

غير أن لهذا الباب - باب حذف حرف العطف - أمثلة فى القديم شعرًا ونثرًا، من ذلك ما ذكره ابن جنى من أن المازنى حكى عن أبى زيد قول بعض العرب: أكلت لحمًا سمكًا تمرًا، يريد أكلت لحمًا وسمكًا وتمرًا. وذكر ابن جنى أيضًا أن الأخفش الأوسط أنشد من ذلك قول بعض الشعراء:

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما ... يزرعُ الوُدَّ فى فؤاد الكريمِ

والشاعر يقول إنه مما يغرس المودة التحية فى الصباح والمساء، وقد حذف حرف العطف بين جملتى: كيف أصبحت كيف أمسيت. وذكر ابن جنى أيضًا من هذا الباب ما أنشده ابن الأعرابى لبعض الشعراء من قوله:

وكيف لا أبكى على عَلَّاتى ... صبائحى غبائِقى قَيْلاتى

العلات جمع علة: ما يتعلَّلُ به، وفسَّرها بالصبائح والغبائق والقيلات، يقول: كيف لا أبكى على ما كنت أتعلل به وأتلهى من إبل الصباح والمساء ووقت القيلولة، وقد حذف حرف العطف بين صبائحى وغبائقى وبين غبائقى وقيلاتى. ويتناول ابن هشام فى كتابه «المغنى» حذف حرف العطف بين المتعاطفين، ويقول: إن باب هذا الحذف الشعر، ويذكر أن الأخفش الأوسط حكاه عن بعض العرب وينشد منه قول الحطيئة:

إن امرءًا رَهْطُه بالشام منزلُهُ ... برمل يَبْرينَ جارًا شدَّ ما اغتربا

يقول: إن امرأً أهله بالشام ومنزله برمل يبرين فى اليمامة ما أشد اغترابه، وقد حذف حرف العطف بين جملة منزله برمل يَبْرين، وجملة رهطه بالشام.

ثم يذكر ابن هشام أنه خُرِّجت من هذا الباب، أى باب حذف حرف العطف ثلاث آيات فى الذكر الحكيم:

أولاها: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العزيزُ الحكيم * أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الاسْلَام﴾ (آل عمران ١٨ - ١٩) بفتح أن فى قوله جلَّ شأنه: ﴿أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلَام﴾ فى قراءة الكسائى، فقد حذفت معها واو العطف كما يقتضى ظاهر القراءة.

والآية الثانية: آية سورة التوبة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِه ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ * ولَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ﴾ (التوبة ٩١ - ٩٢) وظاهر السياق فى الآية الثانية قد يفهم معه أن واو العطف حذفت من قوله تعالى: ﴿قُلْت لا أَجِدُ﴾ أى وقلت، وذكر ابن هشام لكل من هذه الآية وسابقتها تخريجا فخُرِّجت الآية الأولى على أنها بدل من أن قبلها وصلتها، وخرجت الثانية على أن (قلت) هى جواب إذا و(تولوا) جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فما حالهم؟

والآية الثالثة آية سورة الغاشية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ وبعد أن تمت أوصاف هذه الوجوه، والمراد أصحابها قال جلَّ شأنه: ﴿وُجُوهٌ يومئذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (الغاشية ٨) أى ووجوه عطفًا على وجوه السابقة. ولم يذكر ابن هشام فى هذه الآية تخريجًا آخر ينفى عنها حذف حرف العطف.

وواضح من كل ما قدمت أن لحذف حرف العطف أمثلة فى الشعر والنثر ذكرها ابن جنى وابن هشام، وانفرد ابن هشام، كما مر، بذكره لثلاث آيات من القرآن الكريم خُرِّجت على حذف حرف العطف.

وفى ذلك كله ما يسوِّغ ما جرت اللغة العصرية عليه أحيانًا من هذا الحذف فى أمثلة محصورة تداولتها الصحف والألسنة كالأمثلة المذكورة آنفًا.

المراجع:

الخصائص لابن جنى ٢/٢٩٠. المغنى لابن هشام ص ٧٠٦

٤ - إشْراب «ما» فى صيغة «مادام» معنى الشرط

١ - تستخدم صيغة «مادام» فى تعبيرات عصرية على هذا النمط:

(أ) مادام علىّ مجتهدًا فى دروسه فسيكتب له النجاح.

(ب) مادام قد حضر صاحب الاقتراح فلنناقش الموضوع.

وعصرية هذين التعبيرين وما يماثلهما تأتى من أن «مادام» تكون عادة تابعة لجملة تتقيد بها كقوله تعالى: ﴿وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ والزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا﴾ ويقول النحاة إنها فى الآية الكريمة وما يماثلها زمانية مصدرية، أى أنها وما بعدها فى الآية بتقدير: «مدة دوامى حيًّا».

٢ - واضح أن «مادام» فى التعبيرين العصريين السالفين جاءت متقدمة جملتين وليس ذلك فحسب، فإن الجملتين فى التعبيرين بعدها شبيهتان شبهًا قويًّا بالجملتين الشرطيتين، إذ تترتب ثانيتهما على أولاهما ترتب جواب الشرط على فعله. وأيضًا فإن جملة الجواب مع «مادام» فى التعبيرين وما يماثلهما تأخذ حكم جملة جواب الشرط فى اقترانها بالفاء إذا كانت اسمية أو فعلية فعلها جامد أو طلبى أو منفى أو مقترن بقد أو سوف أو السين كما فى المثالين.

٣ - وإذن فلفظة «ما» فى صيغتى «مادام» العصريتين السالفتين أُشربت معنى أداة الشرط بسبب مجيئها فى صدر الجملتين التاليتين لها، وهو استعمال معروف للفظة «ما الزمانية» فى العربية، أثبت ذلك لها - كما نص ابن هشام فى كتابه المغنى - أبو على الفارسى وأبو البقاء وأبو شامة وابن برى وابن مالك، يقول: وهو ظاهر فى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾. ومما يدل على قوة «ما» فى أداء معنى الزمان والشرط معًا أنها حين تتصل بلفظة «كل» تتحول معها إلى أداة زمانية شرطية فى مثل قوله عز شأنه: ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾.

٤ - يلاحظ أن أداء «ما» لمعنى الشرط واضح فى التعبيرين العصريين، ويتضح أداؤها لمعنى الظرفية فى التعبير الأول ويضعف هذا الأداء أحيانًا كما فى التعبير الثانى، ولذلك قلنا: إنها فى التعبيرين زمانية ولم نقل إنها ظرفية، أى أنها تدل على الزمانية دلالةً ما، وهى دلالة لزمتها من استعمالها القديم مع «دام».

٥ - ونخلص من ذلك كله إلى: صحة صدارة «مادام» للجملتين فى التعبيرات العصرية، وتخرُّج (ما) فيهما على أنها زمانية شرطية.

٥ - «حتى»
عاطفة بدون معطوف عليه

يشيع فى الكتابات العصرية - استخدام حتى عاطفة بدون معطوف عليه كما فى الصيغ التالية:

١ - الهزيمة اليوم تهدد إسرائيل، يعترف بذلك حتى المتعاطفون معها.

٢ - مجلس الأمن ينعقد دون أن يُعرض عليه حتى مشروع قرار.

٣ - لم يقرأ حتى الصحف.

٤ - لم ينجح فى أن يكون حتى عضوًا فى مجلس القرية.

٥ - ترك الخلاف أثره حتى على العلاقات الثقافية بين البلدين.

المتبادر إلى قارئ هذه الأمثلة جميعا أنها كانت تتم لو أنه ذُكر فى الجملة الأولى الفاعل قبل حتى، وفى الثانية نائب الفاعل الذى كان ينبغى أن يسبقها، وفى الثالثة المفعول به، وفى الرابعة خبر يكون، وفى الخامسة الجار والمجرور. ولو أن الجمل جميعًا جاءت تامة على هذا النحو لأعربنا حتى عاطفة وما بعدها معطوفًا على ما قبلها دون أى تردد.

وفى الجمل السابقة يبرز سؤالان: أولهما هل يصح قبل حتى حذف الفاعل كما فى المثال الأول، ونائبه كما فى المثال الثانى، والمفعول به كما فى المثال الثالث، وخبر يكون كما فى المثال الرابع، والجار والمجرور كما فى المثال الخامس؟.

ومعروف أن حذف المفعول والجار والمجرور كثير ما دام يدل عليهما السياق، ونستطيع أن نعمم ذلك فى بقية الأمثلة، إذ جاء حذف الفاعل فى القرآن الكريم مع دلالة السياق عليه فى مثل: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أى الشمس، ويقاس نائب الفاعل على الفاعل فيحذف إذا دل عليه السياق، ومثلهما خبر يكون ، إذ الخبر مع المبتدأ كثيرًا ما يحذف مثل: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أى خير من غيرهما، فتحمل صيغة خبر النواسخ على صيغة خبر المبتدأ. وإذن يمكن أن نضع قاعدة عامة، هى أنه يصح حذف أى جزء فى الجملة إذا دل عليه السياق، وبذلك يتجه الحذف فى الأمثلة الخمسة.

أما السؤال الثانى فهو كيف نعرب ما بعد حتى؟ وأرى أن يعرب نفس إعرابه لو أن هذه المحذوفات بقيت ولم تحذف فى الجمل السابقة، فيكون ما بعدها معطوفًا على محذوف مماثل له فى الرفع والنصب والجر قبله، فيقال فى المثال الأول: «المتعاطفون» معطوفة على فاعل محذوف وهلم جرًّا، وقد صرح ابن جنى فى كتابه الخصائص (٢/١ - ٣) بأنه قد حذف المعطوف تارة والمعطوف عليه أخرى. ومثّل للحالة الثانية بقول القائل: الذى ضربت وزيدًا جعفر «يريد الذى ضربته وزيدًا جعفر» فحُذف الضمير المفعول به وعُطف عليه، وواضح أن ابن جنى أطلق كلمة حذف المعطوف عليه دون تخصيص، وذكره المثال الذى أتى به للباب وهو حذف المعطوف عليه إذا كان مفعولا به لا يخصص القاعدة العامة التى وضعها، وهى أنه قد يحذف المعطوف عليه سواء أكان مفعولا به أو لم يكن مفعولا به.

وأوضح من كلام ابن جنى فيما يتصل بالأمثلة السابقة ما جاء فى شرح الكافية للرضى (٣٣٦/١) من قوله: «وقد يحذف المعطوف عليه بعد «بلى وأخواتها» تقول لمن قال: «ما قام زيد» «بلى وعمرو» أى «بلى قام زيد وعمرو» ويتابع الرضى التمثيل بمعطوفات عليها محذوفة مع ذكر حروف العطف حتى يقول: «وتقول لمن قال: مات الناس: بلى حتى الأنبياء» أى بلى مات الناس حتى الأنبياء، فما بعد حتى معطوف على فاعل محذوف قبلها فى المثال، وحقًا هو مثال خاص بالجواب فقط، ونحن نعممه، وبذلك يشمل غير الجواب كما فى الأمثلة الخمسة فى أول هذا الكلام.

وبذلك يمكن وضع قاعدة عامة لإجازة الأمثلة المذكورة على النحو التالى:

«تأتى حتى عاطفة، وقد يحذف معها المعطوف عليه».

٦ - «لا» النافية غير العاملة
فى استعمالات معاصرة

يكثر فى استعمالات عصرية أن تدخل لا النافية بين المبتدأ وخبره، مثل: هذا العمل لا إنسانى، وبين المنعوت ونعته مثل: هذه فكرة لا دينية، وبين الحال وصاحبها مثل: صنع ذلك لا مكترثًا بأحد. وهى تعبيرات عصرية تحتاج صحتها إلى شىء من إنعام النظر والعودة إلى آراء النحاة لنرى هل يمكن أن تقبل هذه الاستعمالات العصرية، التى تكون فيها لا نافية وغير عاملة ولا مكررة، ومن يرجع إلى كتب النحو يجدهم ينصُّون على أن لا النافية غير العاملة تدخل على ما يلى:

(ا) على الفعل المضارع كقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

(ب) وعلى الفعل الماضى فى الدعاء دون تكرار مثل: «لا أصابك مكروه».

(جـ) وعلى الجملة الاسمية وعلى الفعل الماضى (فى غير الدعاء) وعلى الاسم المفرد خبرًا ونعتًا وحالا. واختلف النحاة: هل يجب تكرارها حينئذ أو لا يجب؟ مذهب سيبويه والجمهور وجوب تكرارها فى كل ذلك فيقال:

لا الشمسُ طالعةٌ ولا السماءُ ممطرة.

زيدٌ لا حضرَ ولا اعتذر.

علىّ لا شاعرٌ ولا كاتب.

هى قصيدةٌ لا رائعة ولا بديعة.

تحدَّث زيدٌ لا مقنعًا ولا مصيبًا.

ومذهب المبرد أنه لا يلزم فى كل ذلك تكرار لا، وتشهد لمذهبه نصوص مختلفة فى كتاب سيبويه وفى القرآن الكريم وفى اللغة. وفيما يلى بيان ذلك:

أما عدم تكرار لا مع الجملة الاسمية فقد احتج له المبرد بما جاء عند سيبويه (١/٣٥٦/٣٥٧) من إجازته: «لا سلامٌ عليكم»، (انظر المقتضب ٤/٣٨٠). وفى الهمع ١٤٨/٢ وأوضح المسالك الشاهد رقم ١٥٥ قال بعض الشعراء:

أشاءُ ما شئتِ حتى لا أزال لما لا أنتِ شائيةً من شأْننا شانى

ومرَّ آنفًا أن لا النافية لا تكرَّر مع الماضى فى الدعاء، مما يؤذن بجواز عدم تكرارها فى غير الدعاء، ويشهد لذلك قوله تعالى فى سورة البلد: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾. والآية نص واضح فى جواز عدم تكرار لا مع الماضى مطلقًا، أما الاسم المفرد فقد جاءت لا معه غير مكررة فى شاهد عند سيبويه (١/٣٥٨) وهو قول شاعر من بنى سَلول:

وأنت امرؤٌ منا خُلقتَ لغيرنا حياتُك لا نفعٌ وموتُك فاجعُ

وواضح أن لا النافية دخلت على الخبر فى البيت ولم تكرر، وقال بعض الشعراء كما فى الهمع وشرح الأشمونى على الصبان:

قهرتَ العِدَا لا مستعينًا بِعُصْبةٍ ولكنْ بأنواعِ الخدائع والمَكْرِ

ولا النافية فى البيت دخلت على الحال دون تكرار.

ومعنى ذلك كله أن مذهب المبرد فى عدم تكرار لا النافية غير العاملة مطلقًا يسنده نص قرآنى، ونصوص عند سيبويه وفى اللغة، مما يجعل مذهبه صائبًا وصحيحًا، وإذن يكون سائغًا ما يجرى فى التعبيرات العصرية من عدم تكرار لا مع الاسم المفرد: خبرًا ونعتًا وحالا فى مثل:

هذا الاتجاه لا أخلاقى. هذا عمل لا إنسانى. تحدَّث لا آمرًا.

وفى هذه الأمثلة تُعرب لا نافية وما بعدها بحسب موقعه من الإعراب خبر أو نعت أو حال، وكذلك إذا دخلت على خبر فى مثل: «هذا العمل لا إراديّ»، ويمكن أن نُعمِّم ذلك على النحو التالى:

يسوغُ دخول لا النافية غير مكررة على الأسماء المفردة: أخبارًا أو نعوتًا أو أحوالا.

المراجع

الكتاب لسيبويه ١/٣٥٦ - ٣٥٨.

المقتضب للمبرد ٤/٣٨٠.

ابن يعيش على المفصل ١/١١٢.

همع الهوامع للسيوطى ١/١٤٨.

أوضح المسالك: (طبعة محيى الدين عبد الحميد) ص ١٩٢.

الأشمونى على الصبان (طبعة بولاق) ١/٣٦٦.

٧ - اللاأدرية - اللاأخلاقى - الماهية - الماصدق

معروف أن العباسيين سموا من يتوقفون عن الحكم على الأشياء باسم اللاأدرية، وهى صيغة مشابهة لمثل قولنا اللامتناهى، وقد شاع هذا التعبير فى عصرنا فيقال اللا أخلاقى واللاشعورى واللا معقول وما إلى ذلك.

ونرى أن نميز بين الصيغة الأولى والصيغ التالية التى دخلت فيها أداة التعريف على صفة منفية بلا، وأوضحنا فى الكلمة السابقة إساغة مثل قول المعاصرين: هذا لا أخلاقى، وتحدث لا آمرًا، على أن لا نافية غير عاملة وما بعدها يرفع أو ينصب بحسب موضعه من العبارة، ويمكن أن نسوِّغ مثل اللامعقول واللاشعور بأن الكلمة مع لا النافية عوملت معاملة اسم واحد فدخلت عليها أداة التعريف، وأصبحت مع ما بعدها كلمة واحدة يوصف بها فى مثل: هذا العمل اللاأخلاقى سيئ النتائج، وتقع مبتدأ فى مثل اللامعقول خارق للمعتاد المألوف.

أما الصيغة الأولى: اللا أدرية فمشتقة من قول أصحاب هذا المذهب الفكرى لا أدرى، فأصل الصيغة لا النافية والفعل المضارع أدرى، فيقال: هذا المفكر لا أدرىٌّ، أى أنه يتوقف عن إصدار حكم أو رأى فى الأشياء، ثم نحت الأسلاف من هذا التركيب مصدرًا صناعيًّا وأضافوا إليه أداة التعريف دلالة على هذه الجماعة المتوقفة عن إبداء الآراء والأحكام.

ولم يعامل الأسلاف لا النافية وما بعدها هذه المعاملة وحدها، بحيث تصبح هى وما بعدها كأنها كلمة واحدة مستحدثين منها مصدرًا صناعيًّا، فقد صنعوا ذلك بما الاستفهامية وما يليها من ضمير يُسأَل به عن كنه الشىء وحقيقته، واشتقوا من ذلك أو استحدثوا منه مصدرًا صناعيًّا هو قولهم: ماهية الشىء، يريدون حدَّه وتعريفَه، ودار ذلك على ألسنة الأسلاف وخاصة المناطقة، مضيفين إلى الكلمة أداة التعريف، فيقولون: الماهية، كما يقال: اللاأدرية.

وأكثر من ذلك أنهم دلوا بالتعبير: «ما صدق» على مجموع الأفراد أو الأنواع الداخلة تحت كلٍّ واحد، والتعبير مؤلف من «ما» الموصولة والفعل الماضى «صدق». وعاملوا هذا التعبير معاملة المفرد، فأدخلوا عليه أداة التعريف، يقولون: الماصدق، كما يقولون: الما جرى، وكما يقولون: الماهية، وكما يقولون: اللا أدرية، وهم يجمعون الماصدق على الماصدقات، والماجرى

على الماجريات. وتيسيرًا على العلماء فى عصرنا والمتفلسفة فى وضعهم للمصطلحات العلمية المستحدثة نخلص إلى أنه:

يسوغ لأصحاب العلم والفلسفة عند الحاجة فى وضعهم للمصطلحات أن يعدوا الكلمة المنفية بلا والأخرى المسبوقة بما الموصولة كلمة واحدة ويعرفوها بأل ويصوغوا منها مصدرًا صناعيًّا.

٨ - لم ولن أفعل - لا ولن أفعل

. تجرى على ألسنة المعاصرين الصيغتان التاليتان:

١ - صيغة تجمع بين لم ولن فى مثل قولهم: «إن صورتها لم ولن تغيب عنى»، وواضح أن هذه الصيغة تجمع بين لم التى تقلب زمن المضارع إلى الماضى ولن التى تقلبه إلى المستقبل.

٢ - صيغة تجمع بين لا ولن فى مثل قولهم: «إن موقفك لا ولن يغير رأيى».
ولا: نافية للحاضر ولن نافية للمستقبل

وتوجيه الصيغتين قد يبدو فيه شىء من الصعوبة إلا إذا أدخلناهما فى باب التنازع، وحقًّا لم يشر القدماء إلى التنازع فى الحرفين، غير أنه من الممكن قياس الصيغتين على صيغته المعروفة التى يتسلط فيها عاملان على معمول واحد، كما يقول البصريون.

ومعروف أن النحاة اختلفوا فى عامل المعمول بباب التنازع، هل هو العامل الأول كما يقول الكوفيون، أو هو العامل الثانى لقربه كما يقول البصريون وتشهد نصوص العربية لرأيهم، كما لاحظ سيبويه فى كتابه. وتأسيسًا على ذلك يمكن إدخال الصيغتين فى باب التنازع، مع الأخذ برأى البصريين القائل بإعمال العامل الثانى، وبذلك تنصب لن المضارع فى الصيغة الأولى، واستغنت لم عن مضارع مجزوم يليها بدلالة السياق.

وبالمثل تنصب لن المضارع فى الصيغة الثانية، واستغنت لا عن مضارع يليها بدلالة السياق، وبما قدمت يمكن تسويغ الصيغتين العصريتين على أنهما من باب تنازع العاملين معمولا واحدًا، مع الأخذ برأى البصريين الذى يجعل العمل فى المعمول للعامل الثانى مع السعة فى قياس تلك القاعدة على الحروف قياسًا مطردًا.

٩ - إضافة «حيث» إلى الاسم المفرد

حيث ظرف مكان مبنى على الضم ومحله النصب إلا أن يجر بمن وإلى، ودائمًا يضاف إلى جملة اسمية أو فعلية، فيقال: رأيتك حيث زيد جالس - رأيتك حيث جلس زيد - جئت من حيث تَعلم - أذهب إلى حيث ذهب زيد. وجاء عن العرب مثل: قمت حيث زيد. وحينئذ يرفع البصريون لفظ زيد، ويعربونه مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير قائم أو موجود ونحو ذلك.

وذهب الكسائى إلى أن الاسم المفرد عقب حيث فى مثل: قمت حيث زيد بجرور بإضافة حيث إليه، وجعل ذلك قياسًا مطردًا لمجيئه عن العرب فى مثل قول بعض الشعراء:

أما تَرَى حيث سهيلٍ طالعا نَجما يضيءُ كالشهابِ ساطعا

وأنشد ابن الأعرابى تلميذ الأصمعى لأحد الشعراء:

ونطعنهم حيث الكُلَى بعد ضَرْبهم ببيضِ المواضى حيث لَيٌّ العمائمِ

أى حيث الرءوس، وأنكر ذلك البصريون، وافترقوا فريقين: فرقة أنكرت رواية «سهيل» فى البيت الأول بالجر، ورفعته على أنه مبتدأ محذوف الخبر، وبالمثل أنكرت رواية «لَىّ» فى البيت الثانى بالجر ورفعته على أنه أيضًا مبتدأ محذوف الخبر، وفرقة لم تنكر رواية الكلمتين بعد حيث بالجر، غير أنها قالت: إن ذلك نادر، والنادر لا يقاس عليه.

ويرجِّح الأخذ برأى الكسائى ومن تابعه من الكوفيين مثل تلميذه الفرَّاء أن ظروف المكان أخوات حيث جميعًا تضاف إلى الاسم المفرد، وإذن فإضافة حيث إلى ما بعدها رجوع بها إلى الأصل المأخوذ به فى نظائرها من ظروف المكان، وفى رأينا أن الكسائى أدق من البصريين وأرهف حسًّا لغويًّا حين جوَّز إضافتها إلى المفردات.

ونخلُص من كل ما سبق إلى أن حيث قد تضاف إلى الجمل اسمية أو فعلية، وقد تضاف إلى الاسم المفرد، فيجر بالإضافة إليها قياسًا فى ذلك على أخواتها من الظروف المكانية، وأخذًا برأى الكسائى وما احتج به من الشعر فيقال: ألقاك حيث الجامعةِ أو حيث الأهرامِ، وبادر إلى

حيث العملِ الجاد، وسافر إلى حيث المعيشةِ الهنيئة، ولا تمارِ فى الحكم من حيث العدلِ، واشهد من حيث الحقِّ.

ومن كل ما تقدم يتضح أن إضافة حيث إلى الاسم المفرد بعدها سائغة قياسًا واستعمالا.

المراجع

انظر فى حيث: ابن يعيش على المفصل، والرضى على الكافية، والمغنى لابن هشام، وهمع الهوامع للسيوطى، والصبان على الأشمونى. وراجع معجم لسان العرب.

١٠ - تسهيل الهمزة
فى مثل: «آيل للسقوط»

تعبير «آيل للسقوط» يشيع فى اللغة المعاصرة، وفيه تسهَّل الهمزة فى كلمة «آيل» فتقلب ياءً، وهى اسم فاعل من فعل «آلَ» الأجوف. ومعروف أن قاعدة اشتقاق اسم الفاعل من هذا الفعل أن تقلب عينه همزة مثل: قائل - بائع، فكان القياس يقتضى أن يقال فى التعبير السالف: «هذا المنزل آئل للسقوط». وفى رأيى أن كلمة «آيل» بالتسهيل - كما فى العامية - صحيحة لغويًّا بدليل ما يلى:

(أ) كثرة تسهيل العربية للهمزة فى الكلمات وتخفيفها وحذفها، ومن قول سيبويه فى الكتاب ٢٦٧/٢: «ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان، فتخفِّفا، ويستثقل أهل الحجاز تخفيف الهمزة الواحدة»، وإنما دعا إلى تسهيل الهمزة وتخفيفها، بل حذفها أحيانًا أنها أكثر الحروف ثقلا فى النطق، إذ تضغط على مخرجها من أقصى الحلق، حتى ليشبه صوتها - كما قال الأسلاف - التهوع.

(ب) نص علماء الصرف على أن الهمزة المتحركة بعد الألف الممدودة يجوز تخفيفها بأن تُلَيَّن، وتجعل بين الهمزة والياء فى مثل: مسائل. والبينية أو التوسط فى النطق بين الهمز والياء ضرب من التسهيل، إذ يريدون إشمام الياء الهمزة، أو بعبارة أوضح أن يضغط عليها قليلا كأنها آتية من الحلق، أو من جهة الحلق، وهو على كل حال نطق ينتهى بالهمزة فى مثل «مسائل» و«عباءة» إلى أن تخفَّف وتنطق ياء أو أقرب ما تكون إلى الياء.

(جـ) وردت صيغة من صيغ اسم الفاعل المشتق من فعل أجوف مخفَّفَة الهمزة بعد الألف فى قراءةٍ من قراءات الذكر الحكيم، هى قراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع قارئ المدينة وأحد القراءِ العشرة لآية سورة آل عمران: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ إذ قرأ فى رواية عيسى بن وردان (كهيئة الطاير.. فيكون طايرًا) بتسهيل الهمزة بين بين فى الموضعين، وكذلك قرأ آية سورة المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّايرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَايِرًا بِإِذْنِى﴾.

٤ – وأيضًا ذكر أبو بكر بن مهران فى كتابه فى وقف حمزة، أحد القراء السبعة، قراءةً مماثلة فى نحو (تائبات) بإبدال الهمزة ياءً، وحكى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى فى ذلك أنه بين بين.

٥ – وإذن يكون لتسهيل الهمزة فى كلمة «آيلٌ» أصلٌ، هو نطقها بالتليين كما فى بعض القراءات السالفة، ويشفع لتسهيلها ونطقها ياءً صعوبة النطق بها: «آئل» مهموزة بعد الألف، إذ تبتدئ الكلمة بهمزة تضغط فى نطقها على أقصى الحلق، وتمد فتعطى الفرصة للزفير، غير أنه لايلبث أن يتوقف لضغط النطق بالهمزة الثانية على أقصى الحلق مرة أخرى، مما يحدث ثقلا واضحًا فى التلفظ بالكلمة، وهو ثقل يتطلب تسهيلها ونطقها ياءً، ونخلص من ذلك كله إلى: أنّ كلمة «آيل» بتسهيل الهمزة ونطقها ياءً عربيةٌ صحيحة، ومثلها ما يشاكلها كلفظة آيب فى قولهم: آيب من السفر.

المراجع

الكتاب لسيبويه ٢/٢٦٧

النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/٤٠٠ ، ٢/٢٤٠ ، ٤٦٣.

١١ - قياسية «فاعل»
للدلالة على الاشتراك وعلى التتابع والموالاة

وردت كلمتا المعاوقة والمحاثَّة فى مصطلحات الفيزيقا للدلالة على أصل الفعل وتواليه أو تتابعه. ولما كانت المعاجم لم تثبت الفعلين: «عاوق - حاثَّ». فقد رجعنا إلى كتب الصرف فوجدنا أن الصرفيين ينصون على أن الاشتراك أظهر معانى فاعَل، وأن من معانيها أيضًا المتابعة والموالاة (نَصَّ على ذلك ابن قتيبة والرضىّ).

وإذن فالمعنى الذى أرادته لجنة الفيزيقا لَفاعَل معنى صحيح من معانيها، وتزخر المعاجم بألفاظ لها نفس الدلالة مثل: «تابع - والى - ثابر - حاصر - دافع - ذاكر - رابط - داوم - زاول - سامح - طاول - عامل - عالج - عاود - عاون - غامر - ناضل - مارس - ماطل - لاطف - لازم - حاضر - واصل - واظب».

ولما كانت لجنة الفيزيقا بالمجمع فى حاجة إلى استخدام كلمتى: «المعاوقة - المحاثَّة» بمعنى تتابع الإعاقة والحثّ، وكان المجمع قد أجاز من قبل قياسية فعَّل للدلالة على التكثير والمبالغة، وقياسية استفعل للدلالة على الطلب والصيرورة، وقياسية صيغة تفاعل للدلالة على المساواة والاشتراك والتماثل، فإنى أرى قياسية فَاعَلَ للدلالة على المتابعة والموالاة لشدة حاجة لجنة الفيزيقا إليها فى كلمات أخرى كثيرة تقترحها مثل: مواسعة من واسع، ومقاصرة من قاصر وهلم جرًّا، وهى أفعال لم تثبتها المعاجم. وأرى أن يضاف إلى دلالة الموالاة فى هذا القياس دلالة الاشتراك، لأنها أظهر معانى فاعل، وتحتاج اللجنة العلمية إلى تسويغها بدورها، ولذلك أرى الاتساع فى قياسية فَاعَل التى لم تثبتها المعاجم للدلالة على الاشتراك، وأيضا على الموالاة، وأن الفعل يتلو بعضه بعضًا أخذًا بتيسير اللغة العلمية، وإمدادها بما يعوزها من المواد اللغوية.

المراجع

١ - الكتاب لسيبويه ٢٣٨/٢.

٢ - أدب الكاتب لابن قتيبة (طبع مطبعة السعادة بمصر) ص ٢٥٥ وما بعدها.

٣ - شرح الشافية للرضى (بتحقيق الشيخ محمد نور وزميليه) ٧١/١، ٩٢ وما بعدها.

١٢ - أبنية صحيحة فى التصغير والنسب

(أ) أُذَيْن

عرضت لجنة الطب على مجلس المجمع بين مصطلحاتها المصطلح: أُذَيْن، وكان ذلك مثارًا لتساؤل مؤداه: هل يجوز فى تصغير المؤنث المجازى حذف تاءِ التأنيث فيه فيقال فى عين عُيَيْن وفى أذن أُذَين، وخاصة أن الأطباء درجوا فى كتاباتهم ومحاضراتهم على هذا التصغير، فيقولون: أذين لا أُذينة ؟. وفى رأينا أن لهم مندوحة فى ذلك، إذ نص علماء التصريف على أن التاءَ لا تظهر فى تصغير المؤنث المجازى إذا أدّى ظهورها إلى التباس، فمثل كلمة «شجر» تصغّر بدون زيادة تاء، فيقال: شجير، لا شجيرة حتى لا يظن السامع أو القارئ أنها تصغير شجرة.

ولعل الذى عدل بالأطباء عن تصغير أذن على أذينة بحسب القاعدة، أن أذينة فى العربية تستخدم علمًا من قديم مثل: عُرْوة بن أُذَيْنة. ويشفع لهم أيضًا أنه جاءَت عن العرب كلمات مؤنثة تأنيثًا مجازيًّا، وصُغِّرت بدون تاء مثل: قوس إذ يقال فيها: قُوَيْس، ودرع إذ يقال فيها: دُرَيْع، وحرب إذ يقال فيها: حُرَيْب.

ونخلص مما سبق إلى أنه: يجوز فى المصطلحات العلمية عدم إلحاق التاء بالمؤنث المجازى المصغر، خاصة إذا اقتضى إلحاقها ضربًا من ضروب الالتباس.

(ب) أُذَيْنانِيّ

نسبت لجنة الطب مصطلحها أذينانى إلى مثنى أُذَيْن، وهذه النسبة يمكن أن تقبل قياسًا للمثنى على الجمع، إذ نسب العرب إليه خوفًا من الالتباس بينه وبين المفرد فى مثل كلابى نسبة إلى قبيلة كلاب، إذ لو نسبوا إلى المفرد فقيل: كلبى لظُنَّ أن النسبة إلى قبيلة كلب لا إلى قبيلة كلاب، ومن ذلك أنصارى وأنمارى ومعافرى. وهذا الالتباس نفسه هو ما جعل اللجنة الطبية تعدل عن النسبة إلى المفرد «أُذَين» قائلة أُذَيْنانى حتى لا يُظَن أن النسبة إلى أذين واحدة، إذ هى صفة تلابس الأذنين معًا

وقد يقال: إنه لم ترد عن العرب كلمات منسوبة إلى المثنى سوى بحرانى نسبة إلى البحرين، وكأنهم لجئوا إليه استثقالا لكلمة بحرينى. على أنه يلاحظ أن كثيرًا من الكلمات المنسوبة أدخلوا عليها ألفا ونونًا قبل ياء النسب، وكأنهم ثنوها قبلها مع أنها مفردة مثل: رَبَّانى - رَوْحانى - عَلْمانى - شَعْرانى - صوفانى - حَقَّانى - بَرَّانى - تحتانى - فَوْقانى - دَيْرانى - صَدْرانى - جُوَّانى - حمصانى - إلى كثير من أمثال ذلك مما لا تدعو إلى تثنيته فى النسبة أى حاجة، فأولى أن تحتفظ الكلمة المثناة فى النسبة بالألف والنون مادامت تدعو إلى ذلك حاجة علمية، وبذلك كله تتبين صحة المصطلح الطبى: أذينانى.

ونستطيع أن نخلص مما قدمنا إلى أنه: يجوز فى المصطلحات العلمية - عند الحاجة - أن ينسب إلى المثنى بلفظه كما نسبت العرب أحيانًا إلى الجمع بلفظه.

!

(جـ) النسبة إلى نظرية النسبية نسبوى

أحال مجلس المجمع على لجنة الألفاظ والأساليب بحث كلمة «نسبوى» نسبةً إلى نظرية النسبيّة «لأينشتين» هل تجيزها قواعد النسبة المعروفة؟

ومعروف أن قاعدة النسب إلى مثل «النسبية» أن تحذف الياء المشددة والتاء فيقال: نسبىّ، غير أنه يمكن قبول كلمة «نسبوى» نسبةً إلى نظرية النسبية تمييزًا لها من النسبة إلى كلمة «النسبة»، فيقال: هذا الرأى نسبى بالقياس إلى آراء أخرى، ويقال: هذه الفكرة أو الظاهرة نسبوية نسبةً إلى نظرية النسبية «لأينشتين».

ويسوِّغ قبولها أننا لو قلنا فى المنسوب إلى النظرية المذكورة: إنه نسبى التبس الأمر وظُنَّ أنه منسوب إلى لفظ «النسبة» لا إلى النظرية المذكورة. والعربية دائما فى مثل هذا الموقف تعدل إلى المخالفة فى الصيغة، حتى لا يكون فى استخدام اللفظة وهم أو إيهام، وقد لاحظوا ذلك فى النسبة إلى «البحرين»، فقالوا «بحرانى». يقول الفيروزابادى: كرهوا فى النسبة إليها لفظة «بحرىّ» لئلا يشتبه المنسوب إليها، ويظن أنه منسوب إلى البحر لا إلى البحرين.

وأما أن الواو زيدت فى الكلمة حين نسبت إلى نظرية «أينشتاين» فلأنها تزاد كثيرًا فى باب النسب، وخاصة فى المقصور، مثل: معنى ومعنوىّ، والمختوم بياء مشددة مثل علىّ

وعلوى، والممدود مثل سماء وسماوىّ، وقد تزاد على الكلمة الصحيحة مثل زيادة العرب الواو والألف والنون إلى هند فى قولهم: سيف هندوانى. وسبق للمجمع أن أجاز فى النسبة إلى لفظة الوحدة أن يقال: «وحدوى».

ولكل ذلك يتضح أن كلمة نسبوى نسبةً إلى نظرية «النسبية» صحيحة سائغة.

١٣ - رد المحذوف من فاء الثلاثى ولامه فى النسب

١ - رد فاء الثلاثى

للفظ الثلاثى المحذوف الفاء صورتان: صورةٌ، لام اللفظ فيها صحيحة مثل: عدة - جهة، وصورة ثانية: اللام فيها معتلة مثل: شِية. والصورتان جميعا عُوِّض فيهما عن الفاء المحذوفة بهاء التأنيث.

(أ) الصورة الأولى مثل: عدة - جهة

يرى سيبويه أن لا ترد إلى هذه الصورة فى النسب فاء اللفظ الثلاثى، فيقال فى عدة - جهة وما يماثلهما: عِدِىّ - جهىّ. ويرى الفراء أن ترد فاؤه إليه فى النسب ولكن لا فى موضعها من أول اللفظة، وإنما فى موضع اللام لما سمع عن العرب من قولهم: عِدَوِى فى عِدَة، وجعل ذلك قياسا مطردا فى مثله، فيقال فى جهة: جِهَوِىّ.. إلى غير ذلك.

(ب) الصورة الثانية مثل : شِيَة

يرى سيبويه أن تُرَدَّ إلى هذه الصورة فى النسب فاء اللفظة فى أولها ويُفْتَحُ ثانيها وتُقْلَبُ ياؤها واوا فيقال فى شية: وِشَوِىّ. ويرى الفراء أن ترد الفاء فى موضع اللام مثل: عدة، فيقال فى النسب إلى شية: شِيَوِىّ.

٢ - رد لام الثلاثى

للفظ الثلاثى المحذوف اللام الواوية ثلاث صور: صورة حُذفت فيها لام اللفظ الثلاثى وعوِّض عنها بهاء التأنيث مثل: سنة - فِئة - مئة. وصورة ثانية حُذفت فيها لام اللفظ الثلاثى وعوِّض عنها بألف الوصل مثل: اسم - ابن - وصورة ثالثة حُذفت فيها لام اللفظ الثلاثى دون تعويض عنها لا بهاء التأنيث ولا بألف الوصل مثل: أب - يد - أخ.

(أ) الصورة الأولى مثل: سنة - فئة - مئة - شفة

يرى النحاة جميعا أن تُرَدَّ إلى هذه الصورة لام اللفظ الثلاثى المحذوفة فيقال فيها: سنوى - فئوى - مئوى - شفوى.

(ب) الصورة الثانية مثل: اسم - ابن

اختلف النحاة فى النسب إلى هاتين اللفظتين، فقيل تُرَدَّ إلى هذه الصورة لام اللفظ الثلاثى المحذوفة، فيقال فيهما: سموى - بنوى (وتُحْمَلُ على ابن لفظة بنت فيقال فيها أيضا: بنوىّ) وقيل تظلّ الألفاظ فى النسب كما هى فيقال: اسمىّ - ابْنىّ - ويقال فى بنت بِنْتىّ.

(جـ) الصورة الثالثة مثل: أب - يد - أخ

يرى النحاة جميعا أن تُرَدّ إلى هذه الصورة لام اللفظ الثلاثى المحذوفة فيقال فيها: أبوىّ - يَدَوىّ - أَخَوِىّ (وقيل ينسب إلى أخت مثل أخ فيقال أخوى. وقيل بل تظل كما هى مثل: بنت فيقال أختى كما يقال بنتى).

النتيجة

تيسيرًا لما تقدم أرى الأخذ برأى الفراء فى صورتى (أ وب) فى رقم ١ وتُضَمُّ إليهما الصورة الأولى فى رقم ٢ وألفاظ الصورة الثالثة، بحيث تصبح للنسب فى الألفاظ المحذوفة الفاء واللام قاعدة واحدة هى رد المحذوف واوا فى النسب ما عدا كلمة اسم فتبقى كما هى فى حالة النسب، فيقال فيها اسمى . وبقية الألفاظ تصبح فى النسب كما يلى: عِدَوى - جِهَوى - شِيَوىّ - سنوى - فئوى - مئوى - شفوى - بنوى (لابن وبنت) - أبوى - يَدَوى - أخوى (لأخ وأخت).

١٤ - عبارات صحيحة

(أ) صارحه الرأى - صارحه بالرأى

لم تذكر المعاجم الصيغتان المتداولتان: «إنى أصارحك كذا - أصارحك بكذا» وإنما فيها: «صارح بما فى نفسه؛ أبداه كصرَّح».

على أن المعاجم ذكرت أن صَرحَ الثلاثى يأْتى متعديًّا، يقال: «صرَح زيدٌ الأمر» إذا بيَّنه وأظهره، وفيها أيضًا: «صرَّح الشىءَ وأصرحه» بالتضعيف وزيادة الهمزة بمعنى «بيَّنه» مثل صَرَحَه تمامًا.

ويمكن تخريج الصيغة الأولى: «صارحه الرأْىَ» على أساس أن الفعل صارح مزيد بألف بعد فائه لفعل صَرَح المتعدى، وهى زيادة أعدّته لأن يتعدّى إلى مفعول ثان؛ ولذلك أمثلة مختلفة فى اللغة مثل:

«خَلس زيدٌ الشىءَ، وخالس زيد عمرَ الشىءَ» بمعنى سلبه وناجز زيد الشىءَ، و «ناجز زيد عمرًا الشىءَ» بمعنى عجّله، و «نَصب زيد له العداءَ، وناصبه العداءَ» بمعنى أظهره».

أما الصيغة الثانية وهى «صارحه بالرأْى» فيمكن تخريجها أيضًا على أساس أنه يكثر فى اللغة مجىءُ «فعَل» الثلاثى و «فاعَل» المزيد بألف بعد فائه متعدِّيَيْن إلى مفعول به واحد مثل:

«خدَعه وخادعه - جاز المكان وجاوزه - زحمه وزاحمه - غاظه وغايظه - مزج الشىءَ ومازجه - نجَد صاحبه وناجده».

وواضح مما قدمنا أن الصيغتين: صارحه الرأى - صارحه بالرأى». صحيحتان، وتجريان على سَنن قويم فى العربية.

(ب) حبَّذا لو رضيت

ذهب بعض الباحثين إلى تخطئة هذا الأسلوب، لأن «لو» المصدرية إنما يكثر وقوعها بعد «ودَّ يودُّ – وأحب يحبُّ – وتمنَّى يتمنى». وواضح أن «حبذا» لا تفيد التمنى وليس فيها معناه مطلقًا، إنما معناها المدح أو الذم إذا قلت: لا حبذا. وفات هذا الباحث أن مجيء «لو» مصدرية إنما يكثر كما قال بعد «ودَّ يودّ» وما يماثلها مما يفيد التمنى غير أن ذلك إنما يصدق على الكثرة وقد جاءت مصدرية لا تنصب مرارًا بعد أفعال لا تفيد التمنِّى ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس:

تجاوزتُ أحراسًا إليها ومَعْشرا علىَّ حِراصا لو يُسِرُّون مَقْتلِى

وقول الأعشى:

وربما فات قومًا جلُّ أمرهمُ من التأنِّى وكان الحزمُ لو عجِلوا

وقول قُتَيْلة بنت الحارث:

ما كان ضَرَّك لو مننتَ وربّما منَّ الفتى وهْو المَغِيظُ المُحْنَقُ

وهى أمثلة تشفع لمجيء «لو» مصدرية غير مسبوقة بما يفيد التمنى، وفى رأينا أن صيغة «حبذا» مشربة شيئًا منه.

ويمكن قبول الصيغة على أساس أن «لو» فيها ليست مصدرية، وإنما هى للتمنى كما فى قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ وفى مثل «لو تأتينى فتحدثنى». أما مخصوص «حبذا» فمحذوف يدل عليه سياق التعبير.

ويتضح من ذلك أن أسلوب «حبذا لو رضيت» وما يماثله فى كلام المعاصرين سائغ لغويًا إمَّا على أن «لو» مصدرية، وإمَّا على أنها للتمنى، ولا خطأ فيها ولا غلط.

المراجع

«لو» فى المغنى ص ٢٩٣ وما بعدها.

(جـ) تَعَالَم خالد على زملائه

هذه الصيغة من الصيغ التى أنكرها بعض الباحثين قائلًا: إنها تدور على الألسنة بمعنى التفاخر والتباهى بالعلم، ويقول: إنها صيغة مستحدثة غير معجمية؛ إذ ليس فى المعاجم للفعل «تَعَالم» هذا الاستعمال ولا هذا المعنى، وإنما فيها: تَعالَم الجميعُ الخبرَ، أو عَلِموه، أى اشتركوا فى علمه.

ويمكن تخريج الاستعمال المعاصر للفعل على أساس ما ذكره سيبويه من أن صيغة «تفاعل» قد تدل على التظاهر بالفعل مثل: «تعامى - تغافل» ومن ذلك: «تناسى - تفاخر - تباهى - تباله - تجاهل - تسامى - تعالى - تماجن - تمارض - تضاءَل - تصاغر - تعاظم - تحامق - تخابث - تعارج - تفاقر - تسافه» إلى غير ذلك من أفعال فى العربية جاءت على صيغة تَفَاعَل. وقياسًا على ذلك تقبل صيغة «تعالم علينا - تعالم على زملائه» بمعنى تظاهر بعلمه، وهو تظاهر يلزمه الفخر والتباهى.

وبذلك يكون الاستعمال العصرى لصيغة «تَعالَم» سائغًا وجاريًا على أساليب العربية.

(د) لم أفعل ذلك أبدًا

الأبد: الدهر. وتُتداول فى اللغة العصرية صيغة: «لم أفعل ذلك أبدا» وينكر هذه الصيغة بعض علماء اللغة، لأن كلمة «أبدا» فى رأيهم إنما تستعمل لتأكيد الإثبات والنفى فى المستقبل مثل: ﴿خالِدِين فيها أبدًا﴾ ومثل «لن يظلمَ أبدا» ولايصح فى رأى هؤلاء العلماء أن تستخدم «أبدا» لتأكيد النفى فى الماضى فلا يقال: «لم أفعل ذلك أبدا» إذ الصحيح استخدام «قط» فى هذه الصيغة، فيقال: «لم أفعل ذلك قط. غير أنه جاء فى القرآن الكريم ما يثبت صحة الصيغة العصرية، ففى سورة النور: ﴿ولَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورحمتُه ما زَكَا مِنْكُم مِن أحدٍ أبَدًا﴾ وواضح أن كلمة (أبدا) فى الآية تؤكد الفعل الماضى المنفى: «زكا» أى صلح. وفى ذلك دليل قاطع على أن كلمة «أبدا» كما تستخدم لتأكيد نفى الفعل فى المستقبل تستخدم لتأكيده فى الماضى، مما يثبت - بوضوح - أن الصيغة العصرية: «لم أفعل ذلك أبدا» صحيحة، وتجرى على نهج قويم فى العربية.